خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٩/٠٦/٢٦

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

في نهاية الخطبة الماضية بينت في ضوء آيات القرآن الكريم أن الله ﷻ يرفع بيوت قوم ينالون نصيبا من نور النبي ﷺ، فهم يذكرون الله حسب التعـــاليم الإلهية مقتبسين من ذلك النور، ويولون العبادة والأعمال الـــصالحة اهتمامـــا لائقا.

أما اليوم فسأتناول باختصار بعض النصائح التي وجهها المسيح الموعـــود عليه السلام إلى جماعته بهذا الخصوص.

لقد بيَّن الله ﷻ أن الغاية من خلْق الإنسان هي العبادة. ولكن كيـــف يجب أن تكون العبادة وبأي سمة يجب أن تتسم؟ فقد أرشدَنا بهذا الشأن إمامُ

هذا الزمان – الذي نال أكبر نصيب من نور الرسول ﷺ وفهم أوامر الله واستوعبها أكثر من غيره – في ضوء التعليم القرآني الذي وُهِب فهمَه. وسأتناول اليوم هذا الموضوع في ضوء أقوال المسيح الموعود عليه السلام. إنه لِمن أعظم منن الله ﷻ علينا نحن المسلمين الأحمديين أننا لكوننا محظوظين بالوحدة ببركة إيماننا بإمام الزمان نتلقى التوجيهات الصائبة في كل حين وعن كل شيء. فكلما ذُكّر الأحمديون بإصلاح أنفسهم استجابوا دون تردد، وذلك ببركة علاقتهم الخاصة بالخليفة التي تتقوى باستمرار بسبب عهد البيعة، بينما نرى عامة المسلمين محرومين من هذه النعمة. فقبلَ بضعة أيام مثلاً كنت في اجتماع مع الهيئة الإدارية لمجلس خدام الأحمدية في بريطانيا وقادة فروع الجماعة*، وفي أثناء الحديث قلت لهم حول موضوع معين إنكم لا تنفذون أوامري وتوجيهاتي كما يجب. وبعد ذلك جاءني رئيس خدام الأحمدية وكان متأثّرا جدا واعتذر شفويًّا وخطيًّا وقال إننا سوف ننفذ في المستقبل جميع أوامرك بكل دقة وإمعان إن شاء الله. كما أرسل أعضاء الهيئة الإدارية المركزية للخدام أيضا رسائل الاعتذار. إن قلب الإنسان يمتلئ بحمد لله وشكره والثناء عليه برؤية هذه العلاقة بين الخليفة وأبناء الجماعة، إذ كيف هيأ الله للمسيح الموعود عليه السلام وخلفائه في هذا العصر المادي والبلد الغارق في المادية أناسا يُبدون كامل الوفاء والإخلاص – حين ينادَون باسم الدين – للحفاظ على

* والقائد هو المسؤول الرئيس في مجلس خدام الأحمدية على مستوى الحي أو المدينة أو الإقليم. (مترجم)

علاقتهم مع الخليفة رغم كونهم حائزين على العلوم المادية ومنشغلين في أعمالهم الدنيوية.

كل ذلك لأن المسيح الموعود عليه السلام قد علَّمنا كيف ننشئ علاقتنا بالله تعالى. ذلك لأن عباداتنا تكون خالصةً لله ﷻ ويجب أن تكون كذلك، وهي التي توجهنا إلى مسئولياتنا إلى الله تعالى وإلى أداء حقوق العباد أيضا. لكن عامة المسلمين محرومون من هذا. في الأيام الماضية زارني ضيف غير أحمدي مثقف وحائز على مكانة مرموقة في أوساط الصحافة ووسائل الإعلام، فقال لي أثناء الحديث: نلاحظ المساجد في باكستان عامرة في هذه الأيام بشكل خاص بحيث لم نلاحظْ ذلك في الأعوام الـ ٦٢ الماضية، كما نرى أن الناس يذهبون للحج بعدد لم يسبق له نظير، وعدَّد بعض حسناتهم الأخرى، ثم تساءل: لماذا لا نرى التأثيرات الطيبة والنتائج المرجوة رغم كل ذلك؟ ثم أجاب بنفسه: الحقيقة أن تصرفاتنا خارج المساجد ليست سليمة، لأن القلوب ليست نقية، فبمجرد أن يخرج الناس من المسجد يعود إلى قلوبهم الكدر والشوائب التي تفسد صفو العلاقات بينهم. فقلت له: هناك أمر آخر يجب ألا ننساه، وهو أن عباداتنا وصلواتنا وأعمالنا الأخرى لا يمكن أن تنفعنا إلا إذا حاسبنا أنفسَنا. فلا يكفي أن نفرح بأننا نقوم بالعبادة أو أننا مصبَّغون بصبغة الإسلام في الظاهر، وأن وضْعنا وحالتنا الظاهرية توحي بأننا مسلمون، فهذا ليس من الحسنة والبر في شيء. ثم تذكرتُ جملةً لسيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه وذكرتها أمامه حيث يقول حضرته: صحيح أن الناس ينظرون إلى أعمالكم الظاهرية، أما أنتم فمن واجبكم أن تفحصوا حالة قلوبكم دومًا. إذا كان الناس يقولون

عنكم إن فلانا ملتزم بالصلاة والصوم، وقد قام بالحج، فإن تصريحاتهم وحدها لن تنشئ الحسنات فيكم. كلا، بل إن الروح الحقيقية للبر لا تتولد إلا إذا نشأ لدى الإنسان شعور يوجهه إلى محاسبة نفسه فيما إذا كان قد قام بكل هذه الأعمال ابتغاء مرضاة الله تعالى أم لا. ولتحقيق هذا الهدف يظل الإنسان بحاجة إلى فحص حالة قلبه دومًا. وعندها فقط ستظهر النتائج الحقيقية لهذه الحسنات.

ثم قلت له: إنكم قد لا تقبلون قولي، ولكن الحقيقة هي أن هذه الحسنات التي عدَدتَها لا يمكن أن تؤدي إلى جادة الصواب دون الإيمان بإمام هذا الزمان، إذ من الممكن أن تسفر الحسنات أيضا عن نتائج سيئة بسبب تدخُّل من الشيطان. وقلت له: إن الفتنة والفساد وعدم نزاهة المعاملات وعدم نقاء القلوب تعود إلى عدم إيمانكم بسيدنا المسيح الموعود عليه السلام، فبدون الإيمان به وبالخلافة بعد وفاته عليه السلام لا يمكن أن تكون اتجاهاتكم صحيحة.

والحقيقة أن أساليب العبادات هي الأخرى علَّمَناها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، فالقرآن الكريم هو هو والشريعة هي هي، بيد أن الله سبحانه وتعالى قد وهب إدراكَهما وفهْمهما الصحيحين للخادم الصادق للنبي ﷺ، ذلك أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هو الذي قد ولَّد الخوف الحقيقي والخشية الحقيقية لله عز وجل وحبَّ النبي ﷺ في قلوبنا ونمّاه.

وكلما ازداد اهتمامنا بخشية الله وبحب النبي ﷺ، واهتممنا بفحص أنفسنا في ذلك، ازداد انتفاعنا من عبادتنا. فمن واجب كل مسلم أحمدي أن يقرأ

كتُب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام باستمرار. فكل من يستطيع القراءة فليقرأها والذي لا يستطيع القراءة فليسمعها من أحد. ثم يجب أن تسعوا لقضاء حياتكم حسب ما بيّنه حضرته عليه السلام فيها. فقد أرشدَنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلى حقيقة العبادة في عشرات المواضع من كتبه.

لقد علّمنا القرآن الكريم في سورة الفاتحة دعاء: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فما هو المراد الحقيقي منه؟ فكل يوم نردد هذه الجملة في الصلاة ونمر بها مرورا دون أن نتدبرها. أما إذا قرأناها بأسلوب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تبينت لنا الحقيقة. يقول حضرته في موضع: "وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنبيه آخر، وهو أنه يرغّب فيه عبادَه إلى أن يبذلوا في مطاوعته جُهْدَ المستطيع، ويقوموا مُلبّين في كل حين تلبيةَ المطيع. فكأن العباد يقولون: ربنا إنّا لا نألوا في المجاهدات، وفي امتثالك وابتغاء المرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنانَ بالعُجب والرياء، ونستوهب منك توفيقًا قائدًا إلى الرشد والرضاء، وإنّا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكتُبْنا في المطاوعين.

وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنّا خصصناك بمعبوديّتك، وآثرْناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئا إلا وجهك، وإنّا من الموحِّدين.

واختار عز وجل لفظَ المتكلّم مع الغير إشارةً إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثًّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم ووادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتم ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق لنفسه، ولا يفرّق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى يوصي ويقول يا عِبادِ تَهادوا بالدعاء تَهادِي الإخوان

والمحبّين. وتَناثَنوا دعواتكم وتَباثَنوا نيّاتكم، وكونوا في المحبة كالإخوان والآباء والبنين." (كرامات الصادقين طبعة لندن ص ٤٤-٤٥)

فهذا هو الطريق الأنسب الذي بسببه يمكن أن تظهر لعباداتكم نتائج طيبة وتأثيرات حسنة. فثمة حاجة لتوسيع نطاق النيات. إذا كانت مصالحكم الشخصية فقط هي نصب أعينكم، فلا يمكن أن تصل عباداتكم إلى المستوى المطلوب ولن تظهر نتائجها الحسنة. وإذا كانت عواطف الحب لا تنبعث في صدوركم لبعضكم بعضا بعد العبادات أيضا، فهي بحاجة إلى الفحص بدقة. حين ندخل مساجد عامة المسلمين نجدهم يقومون بالشتائم والكلامِ البذيء ضد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وجماعتِه. وإذا كانت بذاءة الكلام وسلاطة اللسان تجري في المساجد فأي تأثير عسى أن يتركه هؤلاء الأئمة في المقتدين بهم الذين يصلّون وراء هؤلاء المستهترين المبتذلين؟ وأي إصلاح يرجى من مثل هؤلاء الأئمة بعد الخروج منها؟ أما نحن المسلمين الأحمديين فقد علّمَنا سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام كيف يجب أن نتصرف بعد سماع مثل هذه الأمور. فقد قال عليه السلام: "الصبر جوهرة ثمينة، فيجب على أبناء الجماعة أن يتمسكوا بأهداب الصبر."

في بعض الأحيان يعيل صبر بعض الأحمديين إثر سماع مثل هذه الأمور والشتائم في الجلسات. ففي الأيام الماضية حدثت بعض الاضطرابات في الهند أيضا وكتب إلي بعض الأحمديين رسائل تشي بقلة الصبر. ولكن المسيح الموعود عليه السلام يقول: "يجب على الجماعة أن تتمسك بالصبر ولا ترد على قسوة المعارضين بمثلها وألا يسُبُّوا مقابل السباب، فالله تعالى يؤيد الذين

يصبرون. لا أحب أن يهاجم أبناءُ جماعتي أحدا، أو يتصرفوا بما ينافي القيم الأخلاقية. يُفهم من الوحي الإلهي أيضا أن عليهم أن يصبروا ويتجلّدوا.

ثم يقول حضرته عليه السلام: "إن مذهبنا هو أن نحسن إلى من يسيء إلينا. إننا نحسن إليهم ونصبر على قسوتهم. عليكم أن تفوِّضوا أمر سلوكهم السيئ إلى الله تعالى."

وإذا فوَّضتم أمرهم إلى الله، فستتوجهون إلى الله عز وجل وتعبدونه فسيأتي الله تعالى لنصرتكم. ثم أمرَنا عليه السلام بالدعاء وصفاء القلب تجاه العدو أيضا. فهذه هي الأمور التي ترفع من مستوى العبادة وتُري آثارها وتعطي ثمارها الطيبة، وترشد المجتمع إلى الأعمال التي تنسجم مع التعليم الإسلامي. هذا ما يجب على كل أحمدي أن يسعى للتحلي به، وإلا فإن مجرد الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام لن ينفع أحدا شيئا. إنما تبلغون أعلى المراتب من خلال سعيكم للعمل بالتعليم الذي أعطانا المسيح الموعود عليه السلام، ولا شك في ذلك مطلقا. كلّ من يدعو نفسه مسلمًا يؤمن بهذا المبدأ فيعتبر الصلاة ركنًا أساسيا للإسلام، وهذا ما أكّده اللهُ ورسوله ﷺ مرارًا، بل قد ورد في الحديث أن قوما أسلموا وطلبوا من النبي ﷺ أن يعفيهم من الصلاة بحجة كثرة مشاغلهم، فقال لهم النبي ﷺ: لا حقيقة لدين لا عبادة فيه.

هذه هي أهمية العبادة ويعرفها كل مسلم سواء كان ملتزما بالصلاة أم لا. لذا فكل من يعدُّ نفسه مسلما يجب أن يعرف جيدا أهمية أداء الصلاة.

لقد أشرتُ آنفًا إلى الحديث الذي جرى بيني وبين صديق من غير الأحمديين حيث قال إنهم يصلّون الصلوات ولكنهم لا يعرفون لِم لا تستوي أمورهم

ومعاملاتهم. فأقول: هناك فئة كبيرة منهم أيضا الذين يعدّون الصلاة ركنا إسلاميا هاما، ولكن لا تظهر فيهم.. لسوء حظهم.. تأثيراتها الطيبة، ذلك لأنهم لا يقومون بالعبادة بصورة حقيقية، بل إن كثيرا منهم يقومون بها رياء فقط. غير أن بعضهم الآخرين يحاولون أن يؤدوها بتركيز مطلوب، ولكنهم أيضا لا يدركون روح الصلاة ومغزاها. لقد خوّفهم علماؤهم المزعومون منا جدًا حتى أبعدوهم عن الينبوع الروحاني الذي فجّره الله تعالى في هذا العصر ليهبهم هذا الفهم والإدراك، فالأحمديون هم وحدهم السعداء اليوم الذين يستفيضون من هذا الينبوع الروحاني (المسيحِ الموعود عليه السلام) الذي منبعه هو سيده ومُطاعه وسيدنا ومطاعنا محمد المصطفى ﷺ.

ولقد اصطفى الله تعالى المسيح الموعودَ عليه السلام في العصر الراهن لتغيير حالة الدنيا الروحانية وإقامة شريعته الأخيرة. أما كيف أرشدنا المسيح الموعود عليه السلام لبلوغ المستويات الرفيعة في العبادة، وماذا يتوقعه منا؟ فسوف أقدم لكم بعض الأمور في هذا الصدد. يقول عليه السلام: "إن بعض الناس يحضرون المساجد ويصلّون، ويؤدون أركان الإسلام الأخرى أيضا، ولكن لا يحالفهم تأييد الله ونصرته، ولا يظهر في أخلاقهم ولا عاداتهم تحوّلٌ ملحوظ، مما يدل على أن عباداتهم ليست إلا تقاليد فارغة. ذلك أن العمل بأوامر الله تعالى هو بمنزلة بذرة تؤثر في الروح والجسم كليهما. إذا سقى أحدكم أرضًا وبذر فيها البذور بمشقة وجهد، ومع ذلك لم ينبت فيها الزرع فلا بد من القول إن البذرة كانت فاسدة. والمبدأ نفسه ينطبق على العبادة أيضا، فإذا كان الإنسان يعتبر الله واحدا لا شريك له، ويصلي ويصوم ويعمل – ظاهريا – بأوامره

تعالى قدر استطاعته، ومع ذلك لا تحالفه نصرة إلهية خاصة، فلا بد من الاعتراف أن البذرة التي يبذرها هي الفاسدة."

هذا هو المعيار الذي وضعه لنا المسيح الموعود عليه السلام، أي على الإنسان أن يقوِّي علاقته بالله تعالى من خلال العبادة، ثم يجب أن تظهر تأثيرات عبادته الطيبة في العلاقات مع أفراد المجتمع. هناك أناس يدعون الله تعالى من أجل شؤونهم الشخصية ثم يقولون: لقد دعونا كثيرا ولكن أدعيتنا لم تُستجَب. هؤلاء يجعلون استجابة أدعيتهم وحدها معيارا لعلاقتهم بالله تعالى، بينما يقول الله تعالى: ﴿أُدعوني أستجِبْ لكم﴾، وقال أيضا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾(البقرة: ١٥٦)

فيجب أن تكون عباداتنا بغية قُرب الله تعالى والسكينة القلبية، لأن الله تعالى يقول: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، فإذا كانت الخطوات تتقدم إلى الأحسن في هذا المجال، وإذا كنا نسعى جاهدين لإقامة الأمن والسلام في المجتمع ابتغاء مرضاة الله تعالى، فإن هذا أيضا يندرج في ثمرات العبادة الطيبة. فسواء استُجيبت أدعيتنا الشخصية أم لا، إلا أن ذلك سيؤدي إلى تقوية علاقتنا بالله تعالى باستمرار، ولهذا الغرض قد بُعث المسيح الموعود عليه السلام وهو أن يَنشأَ في القلوب حبُّ الله تعالى ومواساة البشر، وهذا هو الهدف من وراء العبادة. فعلى كل أحمدي أن يسعى دائما لتحقيق هذا الهدف النبيل، ويسعى لرفع مستوى عبادته على الدوام.

كيف يجب أن تكون صلواتنا حسب رأي المسيح الموعود عليه السلام؟ لقد أرشدنا عليه السلام إلى ذلك قائلا:

"ليس المراد من الصلاة تلك الصلاة التي يصليها عامة الناس عادةً وتقليدًا فقط، بل المراد منها تلك الصلاة التي بسببها يذوب القلب ويخِرّ على عتبات حضرة الأحدية ذوبانًا."

ثم قال عليه السلام: "تذكَّروا أن الصلاة شيء تستقيم بسببه أمور الدنيا والدين أيضا."

هذه نزر يسير من كنز كبير من النصائح التي وجّهها إلينا المسيح الموعود عليه السلام لكي نصلح ديننا ودنيانا. وعندما نقدّم اليوم أمام العالَم إعلانَ المسيح الموعود عليه السلام ونقول للناس هذا هو سبب انتشار الفساد والفوضى في المجتمع، فعلينا في الوقت نفسه أن نحاسب أنفسنا، ونفحص قلوبنا أيضا ونفكِّر في أعمالنا حتى لا ننسى الهدف الذي بينه الله تعالى لخلقنا، والذي لتحقيقه بايعْنا على يد إمام هذا العصر، وعاهدْنا الوفاء بعقد البيعة.

حينما أوجِّه أنظار عامة أبناء الجماعة إلى هذه الأمور، ينبغي على المسؤولين في الجماعة وأصحاب المناصب والذين نذروا حياتهم لخدمة الجماعة أن يكونوا أكثر انتباه لها مِن غيرهم. فإذا تنبّه إليها المسؤولون في الجماعة وأصحاب المناصب والواقفون لحياتهم بوجه خاص أدى ذلك إلى عمارة مساجدنا أكثر من ذي قبل، كما تقدمت الجماعة في الروحانية على العموم، وساد الأمنُ والوئامُ والحبُ والأخوةُ وأداءُ حقوق الآخرين المجتمعَ ولا سيما المجتمعَ الأحمدي. من المعلوم أن عامة الأحمديين يحاولون إحداث تغييرات طيبة في نفوسهم متأسين بأسوة المسؤولين وأصحاب المناصب، وهكذا فإن هذه النماذج الطيبة تنتقل من واحد إلى آخر. وإذا حدث تغير طيب في شخص

وتأسّى به شخص آخر فإن الله تعالى سيجزي الأول أيضا مثلما يجزي الـذي أحدث في نفسه هذا التغير الطيب. فعليكم أن تنتبهوا إلى هذا الأمـر بوجـه خاص. إن عِلْمَ المرء أو سداد رأيه أو حيازته على مركز إداري رفيع لن ينفعه كأحمدي، كما لن تنتفع الجماعةُ – على المدى الطويل – من علمه أو ذكائه أو كفاءاته الأخرى ما لم تكن فيه خشية الله وما لم يتوجـه إلى عبـادة الله بإخلاص كامل.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لحيازة تلك المكانة التي كان يتوقعها منا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

والآن أريد أن أذكر بعض المحاسن لصاحبزادي أمة القيوم بيغم التي توفِّيت قبل بضعة أيام، إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت المرحومة بنتًا ثانية من بنات حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه، وزوجةَ المرحوم مرزا مظفر أحمد. وُلدت عند السيدة أمة الحي بيغم بنتِ الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام، بتـاريخ ١٩ سـبتمبر/ أيلول ١٩١٦ في قاديان في غرفة قريبة من "بيت الفكر" والمسجد المبارك التي كانت تستخدمها أم المؤمنين رضي الله عنها. لقد حـصلت علـى شـهادة "مولوي فاضل"، (أعلى شهادة في اللغة العربيـة في الهنـد وباكـستان) ثم البكالوريا. خدمتْ كرئيسةِ "لجنة إماء الله" في واشنطون مرتين على فتـرات مختلفة. كان حضرة الخليفة الثالث رحمه الله قد عيّنها ممثلة للجنة إمـاء الله في أمريكا في مجلس الشورى، وبقيت في هذا المنصب مدى الحياة.

لقد ظلت قواها العقلية سليمة تماما إلى آخر لحظة من حياتها الممتـدة إلى ٩٢ عاما تقريبا وكانت نشيطة تماما ذهنيا. كانت تحكي بين حين وآخر أحـداثا

قديمة من زمن الخليفة الثاني ﷺ. كانت شديدة الاهتمام بالفقراء والمعوزين، وكانت تساعدهم سرا وعلانية. كانت تقدم مساعدة مالية للعديد من المساكين والأرامل بشكل دائم. كانت تساهم من خلال الصدقات في مساعدة المنظمات الخيرية المحلية والعالمية خارج الجماعة أيضا.

كانت تصلي بكل خشوع وخضوع، وهذا ما شاهدتُه بنفسي أيضا في صلواتها العادية، أما النوافل فيصليها الإنسان خفية عادة. كانت تصلي صلواتها ببالغ الخشوع والتضرع مما يوحي بقوة علاقتها مع الله تعالى. وكانت المرحومة والمغفور لها صورة متجسدة لقول الله تعالى: ﴿فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(المؤمنون: ٣)

وكانت بعيدة عن اللغو كل البعد عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾. كانت متواضعة جدًا – مع أن زوجها السيد مرزا مظفر أحمد كان يحتل في باكستان أيضا مناصب مرموقة، ثم عمل في البنك الدولي – فكانت تقابل زائريها بتواضع كبير مثلما كان يفعل زوجها السيد مرزا مظفر أحمد. لقد ذَكرتْ لي هذا الأمر عددٌ من السيدات، كما ذكر كثير من أفراد الجماعة الذين يبعثون إليّ الآن رسائل تعزية أنها كانت تقابلهم بكل تواضع. إضافة إلى ذلك كانت عندها غيرة عظيمة على الدين والجماعة والخلافة. كانت ملتزمة بالحجاب الإسلامي بكل شدة لدرجة أنه إذا دخل بيتها أحد الأقارب الصغار سنًّا – الذين ليس لها أن تحتجب منهم – كانت تحتجب منهم قبل التعرف إليهم. لم تكن لها ذرية إلا أنها تبنّتْ ابن أختها أمة الجميل بيغم كُنّة الداعية شودري فتح محمد سيال، وسعتْ جاهدة لتربيته بحب

وإخلاص، وكانت تنصحه أن ينشئ علاقة متينة مع الله تعالى. لقد كتب إلي متبنّاها هذا أنها كانت تروي له في صغره قصصًا قصيرة من سيرة النبي ﷺ وسيرة المسيح الموعود عليه السلام، ثم بعد ذلك ظلت ترويها لأولاده أيضا.

وهناك أمر آخر كتبه إلي ابن أختها ومتبناها "ظاهر أحمد"، وهو أنها كانت تقرأ القرآن بكل تدبر وإمعان، وقد كتبت ملاحظات مطولة على بعض الآيات القرآنية تحتوي على صفحات كثيرة.

لقد كانت تحب الخلافة حبًا خاصًا، وقد رأيت ذلك في عهد الخليفة الثالث رحمه الله. كان حضرته أخاها الأكبر، غير أن علاقتها بالخلافة أكبر من القرابة. ثم جاء عهد الخليفة الرابع الذي كان أخاها الأصغر، إلا أنها كانت تبدي له احتراما خاصا بعد توليه منصب الخلافة. لقد كتب لي أحد الإخوة أنها كانت جالسة بعيد الجلسة السنوية الأولى المنعقدة في إسلام آباد ببريطانيا إذ تلقتْ السيدة المسؤولة عن الاعتناء بها رسالةً من الخليفة الرابع رحمه الله أن ترافقها إلى حضرته لأنه يريد مقابلتها فورا. فسمعتْ حضرتها هذه الرسالة ووقفت على الفور ومشت قبل أن تستعدّ تلك المسؤولة، وأسرعت لدرجة أن تلك السيدة المرافقة اضطرت للجري وراءها، وكانت تقول لها: أسرعي لأننا تلقينا رسالة أمير المؤمنين أنه يطلبني. لقد كان كل ذلك بسبب تربية والدها سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه، كما أن نموذجَ جدها (الخليفة الأول رضي الله عنه) أيضا كان نصب عينيها حين مشى فور سماعه رسالة المسيح الموعود عليه السلام.

لقد كانت على علاقة طيبة معي لأنها كانت خالتي. إلا أن الخليفة الرابع رحمه الله حين عيّنني ناظرًا أعلى وأميرًا محليًّا في ربوة بباكستان فقد أصحبت هذه

العلاقة أكثر من علاقة الخالة مع ابن اختها؛ فقد زارتني في باكستان بعد تولي هذا المنصب، فأدهشني ما أبدته لي من علاقة مخلصة حتى خجلْت. إن ذلك الإكرام والاحترام الذي أبدته لمسؤول في الجماعة كان مختلفا تماما عن أية علاقة أخرى. لقد ظهر لي هذا الجانب من سيرتها عندها، وعرفت كيف تحترم المسؤولين في الجماعة. لقد ازدادت هذه العلاقة قوةً بعد أن أصبحتُ خليفة. وكلما فكرتُ في علاقتها مع الخليفة الثالث والرابع رحمهما الله تعالى وعلاقتها معي لم أجد أدنى فرق من ناحية الأدب والاحترام. كانت تبدي لي أدبا واحتراما كبيرين لدرجة كنت أخجل أمامها. ولما زرت أمريكا اضطررت للإقامة في مركز الجماعة بالقرب من المسجد بسبب بعض البرامج. ولقد ألحّت عليّ أن أقيم عندها، ولكني اعتذرتُ إليها للسبب المذكور، و لما زرتُها في بيتها كانت فرحتها قد بلغت ذروتها.

وبسبب علاقتها الفريدة مع الخلافة يرتبط متبناها وزوجته وأولاده أيضا مع الخلافة بعلاقة خاصة. لقد كانت على اطلاع واسع على كتب المسيح الموعود عليه السلام. لقد أخبرني أحد الإخوة أنها قرأت جميع كتب المسيح الموعود عليه السلام سبع مرات، وأخبرني "ظاهر أحمد" أنها قرأتها تسع مرات كما صرَّحت له بنفسها.

لقد كانت مريضة منذ شهر، وتكلمت معي هاتفيا خلال هذه الفترة مرة أو مرتين. أخبرني "ظاهر أحمد" أنها في إحدى المرات لم تكن راغبة في أكل الطعام، ثم تكلمت معكم هاتفيا، فلما أنهت المكالمة قلتُ لها: لقد تكلمتِ مع

الخليفة فكلي قليلا من الطعام الآن. ثم ذهبتُ إلى غرفة أخرى وانشغلتُ في أمر ما، ولما عدتُ بعد قليل وجدتُ صحن الطعام فارغا.

لقد أكلتْ الطعام لأن "ظاهر" ذكر لها أنها قد تكلمتْ مع الخليفة فلتأكل الآن قليلا من الطعام أيضا، لكنني أرى أنها ربما فهمتْ من كلامه أن الخليفة قال لها أن تأكل الطعام الآن. كانت لا تسمع جيدا إلا إذا كان الكلام بصوت عال، وحيث إنها كانت مطيعة جدًّا لذلك تناولت الطعام رغم عدم رغبتها فيه حتى في آخر مرضها محتسبةً إياه طاعة لأمر الخليفة.

في أيام مرضها دعت ابن أخيها وأهله وأولاده وظلت تنصحهم لثلاث ساعات، ثم شكرتهم على اعتنائهم بها، في حين أن هذا لا يساوي شيئا مما أسدتْه إلى هؤلاء الأولاد. إن هذا يدل على عظمة شخصيتها وحرصها الشديد على الشكر إلى مَن خدمها. وفَّق الله متبناها وأولاده وزوجته لجعل حسناتها وحسنات مرزا مظفر أحمد باقية مستمرة، وأن يأخذوا نصيبا من أدعيتهما على الدوام، وأن يحافظوا على سمة التواضع التي كانا يتحليان بها.

ثمة أحداث سجلَتْها بنفسها، أذكر لكم بعضها. تقول:

كان الخليفة الثاني ﷺ يكنّ حبًّا فريدًا لجميع أولاده، ولكن لما عُقد قراني كتب حضرته ﷺ إلى زوجي، مرزا مظفر أحمد ما يلي:

لقد عاشت ابنتي هذه عندي طوال الأربعة عشر عاما مدللة، وكلما نظر إليها أحد انتبهتُ فورًا لأفحص ما إذا كانت نظرته يشوبها شيء آخر غير الحب. والآن أسلّمها إليك، وتذكّرْ دوما أنني لن أطيق – لا في حياتي ولا بعدها – أن يصيبها أي أذى.

يعني حضرته أن ذلك سيمثل له صدمة كبرى، وليس القصد أنه سيخاصمه في هذه الحالة.

هذه النماذج يجب أن تُجعَلْ نصب الأعين مِن قبل أولئك الذين تنشب الشجارات في بيوتهم. فعندما يتزوج أحد ويأتي ببنت أحد إلى بيته فمن واجب العريس وأهله أيضًا أن يراعوا مشاعر البنت، ويتذكروا أنها ابنة مدللة لأبويها.

تقول حضرتها: لما سافرتُ إلى "مُلْتان" كان تصلِني يوميًّا برقية أو رسالة من الخليفة الثاني رضي الله عنه.

وتذكر رؤيا لها قائلة: قال لي أحد في المنام إنه قد أتى ليأخذ أمي، فقلت له باكيةً: لا تأخذ أمي. فقال: إذا كان الأمر كذلك فسآخذ أباك. قلت له قلقةً: لا، لن تأخذه أبدا. فقال: يمكن أن أقبل منك أحد الأمرين وليس كليهما؛ فإما أن آخذ أمك أو أباك. فلما قال لي لا تستطيعين الاحتفاظ بكليهما بل يمكن إبقاء واحد منهما معك، رضيتُ مضطرةً بسماحه أخْذَ أمي.

ثم تقول: كان تأثير هذه الرؤيا في نفسي كبيرا بحيث بدأتُ بعدها ألتصق بأمي أكثر من أبي (كانت ابنةَ عشر سنين عندما فارقتْها أمُّها). ولم تكن حضرة "أمان جان" (أم المؤمنين حرم المسيح الموعود عليه السلام) تعرف سبب التصاقها بأمها هكذا، فكانت تقول لها: يجب أن تلازمي أباك أيضا كما تلازمين أمك في كل حين وآن. وتقول حضرة "أمان جان": قلتُ لها ذلك مرةً بشيء من الشدة فخافت وأجابت: سألتصق بأمي وأبقى ملتصقة بها طوال حياتي.

وكانت عينا حضرة "أمان جان" تذرفان بالدموع كلما ذكرتْ هذا الحدث.

لما سافر حضرة المصلح الموعود ﷺ سفره الشهير إلى دلهي الذي بدأ بعده بسلسلة خطب تحت عنوان "السير الروحاني"، رأى حضرته هناك مشهدا صرخ إثره بأعلى صوته: لقد وجدتُ، لقد وجدتُ. يقول حضرة المصلح الموعود ﷺ: في ذلك الوقت كانت ابنتي أمَةُ القيوم بيغم هذه تمشي ورائي فسألتْني: ماذا وجدتَ يا أبي؟ قلت لها: لقد وجدتُ كثيرا من الأمور، إلا أنني لا أستطيع أن أطلعك عليها الآن بل سوف أذكرها بإذن الله في الجلسة السنوية ويمكنك أن تسمعي أيضا حينها.

لقد نظم سيدنا المصلح الموعود ﷺ قصيدة بمناسبة ختم أولاده قراءة القرآن للمرة الأولى، كما نظم قصيدة عند زواج أمة القيوم بيغم أيضا، أقدّم لكم بيتين منها ما معناهما:

أدعو الله تعالى ألا يقل حبكِ له ﷻ ولا تنقطع علاقتك معه، وأن تُوَثِّقي علاقتك بالله تعالى ولو كلّفك ذلك قطع العلاقة عن الجميع.

وهكذا قد نبّهها المصلح الموعود ﷺ إلى تقوية الصلة بالله تعالى، ولقد حافظتْ على العلاقة مع الله تعالى بكل حرص حتى بعد زواجها أيضا، إذ كانت تُكثِرُ من الدعاء وتداوم على الحسنات كما أسلفتُ.

كتب إلي السيد "مسعود خورشيد" من أمريكا أن زوجته سمعتْ في رؤيا قبل ٢٥ عاما صوتا يقول: إن حضرة أمة القيوم بيغم وليّة الله.

لا جرم أن علاقتها بالله تعالى وحسناتها التي كانت تداوم عليها من أعمال أولياء الله، وكل ذلك لأنها ظلّت تحرص على العمل بنصائح والدها العظيم، رفع الله درجاتها. سوف أصلي عليها صلاة الغائب بعد الجمعة. وهناك بعض

المتوفين الآخرين أيضا الذين سوف أصلي عليهم صلاة الغائب أيضا، أحدهم الرائد أفضال أحمد ابن إقبال أحمد الذي استشهد في ١٩ يونيو في جنوب ولاية "وزيرستان" خلال عملية عسكرية تقوم بها الحكومة ضد عناصر "طالبان" المسلحين. كان يبلغ من العمر ٣٢ عام. إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال أحد العقداء في الجيش إنه أصيب برصاصة في قدمه أثناء هذه العملية العسكرية فقيل له أن يتريث حتى يُضمد الجرح ويعالَج، إلا أنه لم يقبل وظلّ يحارب بكل شجاعة وحماس حتى استُشهد. كان جدّ أبيه شودري عبد العزيز ﷺ أحدَ صحابة المسيح الموعود عليه السلام، كما كان جدُّ أمّه غلام دستغير ﷺ أيضا صحابيًا للمسيح الموعود عليه السلام. كان عضوا فعالا في الجماعة في مدينة "راولبندي"، وكان موصيًا أيضا (أي اشترك في نظام الوصية). لقد ترك وراءه زوجته وبنتًا "دانية أفضال" تبلغ من العمر ٤ سنوات وابنًا "محمد آصف" وعمره سنة واحدة. دُفن في ربوة في مراسِم عسكرية إذ توافد كبارُ ضباط الجيش مع فريق من عناصر الجيش للمشاركة في مراسِم الدفن. يقال لنا أن الأحمديين أعداء للبلد إلا أن الحقيقة هي أنه حيثما اقتضت الضرورة تقديم تضحيات للبلد كان الأحمديون في طليعة المضحين.

ولقد وُضعتْ أكاليل الزهور على قبره من قبل رئيس باكستان ورئيس الوزراء أيضا. فإذا كان الأحمديون أعداء للبلد – على حد زعمكم – فينبغي أن تحاكموا أولاً رئيس بلدكم ورئيس الوزراء أيضا، كذلك يجب أن تحاكموا الجيش أيضا الذي بعث عناصره للمشاركة في مراسِم دفن الشهيد.

هناك جنازة أخرى وهي للسيد أحمد جمال ابن المرحوم محمد محسن، الذي ذهب للنـــزهة إلى النهر الصغير بالقرب من ربوة حيث تعرض لعملية نهب نفذها لصوص أو قطاع طرق ثم رموه برصاصتين في رأسه فاستُشهد. كان يبلغ من العمر ١٩ عاما وكان أحد أولاد مشروع "وقف نو" كما كان موصيا أيضا. رفع الله درجاته. كان عضوا فعالا في مجلس خدام الأحمدية.

كذلك هناك خبر آخر تلقيناه البارحة ولم نستلم بعد تفاصليه وهو خبر استشهاد اثنين من أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية في مدينة "كوئته" أحدهما خالد رشيد ابن رشيد أحمد والآخر ظفر إقبال ابن لال دين الذي كان يعمل عند خالد رشيد فأراد أن يوصله إلى بيته فما أن خرجا من البيت حتى أُطلق عليهما الرصاص فاستُشهدا. فلما خرج أخوه من البيت بعد سماعه صوت الرصاص أطلق المجرمون عليه الرصاص أيضا لكنه لم يصبه، ثم فرّ المهاجمون. فإما أنه قتل مستهدف متعمد على الأغلب، أو يكون له علاقة بأعمال القتل الجارية في تلك المنطقة بناء على الانتماء العرقي بين سكان بلوشستان الأصليين والمقيمين هناك من أصل بنجابي. على أية حال قد سبق أن تلقوا تهديدات بالقتل لكونهم أحمديين أيضا. رفع الله درجاتهم وغفر لهم. وبعد الجمعة سوف أصلي صلاة الغائب عليهم جميعا.